التاريخ الاقتصادي

المحور 6:

الكوارث الطبيعية والمشاكل الأمنية والسياسية المؤثرة على النشاط الزراعي

أولا: الكوارث الطبيعية:

تعريفها

التعريف اللغوي والاصطلاحي للكارثة:

1- التعريف اللغوي : من كرث وأكرثه أي ساءه واشتد عليه.

2- التعريف الاصطلاحي :

هناك عدة تعريفات للكارثة يرجع كل تعريف الى حسب أسبابها وإلى ما تخلفه من الأضرار لذلك فالكارثة يطلق عليها في كثير من الأحيان:

الجائحة :تطلق في الغالب على ما يصيب الثمر من السماء مثل البرد والقحط الذي لا يمكن تعطيله حتى وإن علم به قبل وقوعه.

النازلة: وهي الشدة التي تباغت الناس دون أن يستعدوا لها.

النائبة : وهي المصيبة التي تحل بالناس من كوارث وحوادث مؤلمة فتلم بالناس في شأن من شؤونهم.

الأزمة : التي تكون بأسباب معروفة فتترك آثارها في الناس من الشدة والقحط.

وغيرها من الأسماء كالمصيبة والكربة وغيرها مما عرف في هذا المعنى على لسان العرب.

ب:أقسام و أنواع الكوارث: تنقسم الكوارث إلى ثلاثة أقسام وهي:

1-كوارث طبيعية: وهي ما كانت أسبابها طبيعية وليس للإنسان دور في حدوثها، وتنقسم بدورها إلى عدة أقسام:

- صحية:كالأوبئة.

- مناخية :كالسيول.

- جيولوجية:كالزلازل والبراكين.

- كونية:كسقوط الشهب والنيازك.

2- كوارث تسبب فيها الإنسان:

وهي التي تكون بفعل مباشر من الإنسان يتم على مستوى الطبيعة من خلال قطع الأشجار والغابات فيسبب ذلك تلفا في ينجر عن فعله هذا مثل انزلاقات التربة، أوتلويث الطبيعة وغيرها .

3- كوارث يقوم بها الإنسان فتوسعها الطبيعة: كالحرائق التي يسببها الإنسان ثم تتضاعف آثارها بعد تنتقل إلى أماكن أخرى بفعل بعض عناصر الطبيعة كالرياح مثلا فتقوم بنقل هذه الحرائق وتوسع رقعتها.

أنواع الكوارث:

أما أنواع الكوارث فهي متعددة سواء كانت أوبئة أو ظواهر طبيعية أو فلكية وغيرها.

1- الأوبئة:

وهي ما يعم الناس من الأمراض لذلك توصف الأرض الموبوءة أذا كثر في الناس المرض.

2- الطاعون:

وهي الأمراض التي تفسد الهواء فينجم عنه فساد الأمزجة والأبدان، والطاعون هو مرض على شكل ورم يصيب الفئران تسببه ميكروبات ، ثم ينتقل إلى الإنسان عن طريق البراغيث.

3- الخسف:

وهو انهيار الأرض بما عليها.

4- الزلزلة:

وهي اضطراب الأرض وتحركها بشدة.

5- الحرائق:

وهي كل ما يصيب النبات من الحرق بسبب النار أو قد يكون بشيء آخر في حكمه من حر أو برد أو ريح أو غير ذلك من الآفات.

6- السيول والفياضانات:

وهي المياه الكثيرة التي تكون بسبب الأمطار فلم تستوعبها المجاري العادية فتزيد عنها .

8- العواصف:

وهي حركة الرياح لما تزيد عن معدلاتها الطبيعية من حيث السرعة والقوة فتكون لها آثار تدمير على مستوى النبات و الزرع.

9- الجفاف والقحط:

وهما جفاف المجاري المائية كالأنهار ويصاحبه احتباس الأمطار عن النزول فيهلك بذلك النبات والزرع ويحل الجدب.

ثانيا : تفسير العلماء المسلمين الأوائل لبعض الكوارث الطبيعية

انشغل العلماء المسلمين القدامى بإيجاد تفسير لهذه الظواهر الطبيعية ومعرفة الأسباب العلمية لحدوثها لذلك سنتعرض إلى بعض تفسيراتهم لهذه الحوادث:

أ- الزلازل:

يرجع أغلب علماء المسلمين سبب حدوثها إلى احتقان البخار في باطن الأرض فلما يشتد فيخرج دفعة واحدة فيحرك قشرة الأرض فتتزلزل الأرض وقد يأخذ ذلك شكلا عموديا أو أفقيا فيكون قويا في البداية ثم لا يلبث أن يخف بعدها.

ب- الأوبئة و الطواعين:

يرى علماء الإسلام أن الأوبئة يكون سببها فساد الهواء وتلوثه بسبب اكتظاظ العمران وانعدام أسباب النظافة والتعفن والرطوبة مما يهيأ ذلك من وسط لكثرة الحشرات والطفيليات فتكون وسيطا لنقل الأمراض المتفشية عن هذا الوضع.

و يرى الأطباء المسلمين أن الطاعون هو كل ورم يكون على مستوى الغدد الرخوية الضعيفة والحساسة مثل الثدي والأذن واللسان فإذا كانت الإصابة على مستوى هذا العضو يفسد ويتغير عن طبيعته ويتغير بذلك لونه فيخرج منه دما فاسدا يصل إلى القلب عن طريق الشرايين فتكون أعراضه بحدوث القيء والخفقان و الإغماء فيعتري المريض البرد وآلام في البطن وهذيان وأشد أنواع هذا المرض الأسود وأقله الأحمر والأصفر.

جـ - العواصف:

يرون بأن سبب هذه العواصف يرجع إلى تصاعد الأدخنة من الأرض بفعل حرارة الشمس فتصل إلى المناطق الباردة فتبرد وتتكاثف ثم تنزل ويتحرك بها الهواء فتحدث الرياح،

وفي حال حافظت تلك الأدخنة المتصاعدة على حرارتها فتصعد مرة أخرى إلى كرة النار المتحركة فتردها بدورها إلى الآفات الزراعية .

الكوارث الطبيعية وأثرها على الزراعة :

1- في صدر الإسلام والدولة الأموية

وهي كل ما يُصيب المحاصيل الزراعية من أمراض للثمر أو إتلاف له، بسبب هجوم للحيوانات كالجراد والفئران مما يؤدي إلى إفساد محصول العام سواء كان في الحقول أو في المخازن .

و قد عرف العرب في الجاهلية العديد من الأمراض التي تُصيب المزروعات والنخيل منها مرض البثق، وهو داء يصيب الزرع من كثرة المطر، والغمل وهو مرض يصيب النبات، فيجعله يركب بعضه بعضًا ويذبل ويعفن.

ويمكن إجمال الكوارث التي تؤثر على النشاط الزراعي فيما يلي:

1- الجراد:

ومن الآفات والكوارث التي كانت تتلف المحاصيل الزراعية وتتسبب في خسائر كبيرة الجراد الذي كان يكتسح الزرع في بعض السنين بإبادة الحقول والمزارع فيذرها قاعا صفصفا، فيأتي في موجات كثيفة، ويلتهم كل ما يجده أمامه، حتى يجرد الأرض جردًا، ولا يترك من نبتها وزروعوها شيئًا.

وكان الجراد يتواجد بكثرة في الجزيرة العربية، فقد سجلت لنا المصادر التاريخية أنّ أسرابا منه أغارت على واحات المدينة المنورة، فخربت النخيل وكل ما صادفها من المحاصيل الزراعية. فقد ورد في جمهرة نسب قريش وأخبارها عن مصعب بن عبد الله قال:(قيل لعامر بن عبد الله: أخطأ الجراد نخلك وأصاب الناس. فقال: أشهد كم أنها صدقة على المساكين).

وعلى الرغم من أن المؤرخ لم يذكر لنا سنة حدوث هذه الموجة من الجراد ، إلا أنه يمكن أن نرجح بأنها كانت في سنيات خالد ، لأن غالبا ما يتزامن ظهور الجراد مع القحط الشديد ، بالإضافة إلى أن عامر بن عبد الله مات بعد سنيات خالد.

2- هجوم الفئران سنة 55هـ - 674م:

ذكر المنبجي في تاريخه عن سنة خمسة وخمسون هجرية ، بأن كثر عدد الفئران في الشام بأعداد هائلة، فأتت على الحقول والمخازن ، وأتلفت المحاصيل ،فنجم عن ذلك مجاعة كبيرة.

3- القحط والحرائق والمجاعات:

شهدت بلاد الجزيرة العربية سنون عديدة من القحط سيما منطقة الحجاز لأسباب مناخية قلة نزول الأمطار ومناخها الحار الجاف سيما مكة ذكر المقدسي عن ذلك فقال في ذلك(ويكون بالحرم حر عظيم وريح تقتل).

ومما أخبرتنا به المصادر عن وقوع القحط عام الرمادة الذي كان سنة 18هـ/638م وقد اهتم المؤرخون الذي كتبوا عن هذه السنة لشدة وقعها وقساوتها على الناس فيبس فيها الزرع وجف الضرع وأصبح لون الأرض والشجر مثل لون الرماد على رأي ابن منظور، فهلكت المواشي والزروع وحلت بالناس مجاعة كبيرة في وقت تفشى فيه الطاعون ببلاد الشام وهو طاعون عمواس وهذا ما يعطل فرضية إسعاف مقاطعات الدولة لبعضها، كما أن الدولة كانت تجهد في الدفع بعمليات الفتح الإسلامي على أكثر من جبهة.

وفي العصر الأموي شهدت المدينة أيضا قحطا ومجاعة سنة 65هـ/684 م مما أجهد الناس وضاق بهم العيش وارتفعت الأسعار وعم الغلاء ، كما ضرب بلاد الشام قحط شديد سنة 68هـ/687م فعزت فيه المؤونة فكان عائقا أما حركة الفتح فتوقفت بسبب العوز وقلة التجهيز وغيرها من حوادث القحط التي أخبرت عنها المصادر كسنوات 108و114و115و125و126.

4- الحرائق:

كما تعد الحرائق من أهم الكوارث التي تعتري المجال الزراعي فتتلف المحاصيل وتبطل نشاط المزارعين وما تلحقه من إضرار للتربة ومناسبتها لعملية الزرع، وقد أوردت لنا المصادر التاريخية أخبارا مختلفة عن الحرائق التي حثت وتضرر منها الناس.

منها حريق مدينتي البصرة والكوفة على أيام عمر بن الخطاب ولعظم هول هذا الحريق أن النار حاصرت الأطفال في البيوت ومما ساعد هذا الحريق في الإضرار بالمدينتين كون

البيوت في بداية الأمر كانت من القصب لأنها كانت محل إقامة مؤقتة لجند الفتوح ثم تم إعادة تجديدها كمدينة البصرة سنة 16 هـ.

وكذلك حريق اللاذقية سنة 102 هجرية عندما أغار عليها الروم فقاموا بحرقها لعدة أيام فأحدثت خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وحريق دابق سنة 108 هـ وحريق دمشق سنة 126 هـ.

2- العصر العباسي:

ومن الآفات والكوارث التي حلت بالزراعة في العصر العباسي حيث ذكرت المصادر أن في سنوات 311هـ و328 هـ و344هـ و365 هـ ظهرت موجات من الجراد اجتاحت الأراضي بالعراق ألحقت أضرارا كبيرة بالمزروعات وكذلك في سنة 419هـ فأكل الجراد الشجر والثمر وفي سنة 444هـ ظهرت صراصير كثيرة شبيهة بالجراد لم تذكر المصادر طبيعة الأضرار التي خلفتها.

وفي سنوات 462و465و468هـ ظهرت كذلك موجات أيضا من الجراد ببغداد أكلت المزروعات فغلت الأسعار فشق ذلك على الناس بسبب الجوع ووقع الوباء، وفي سنة 524هـ ظهرت عقارب طيارة لها شوكتان هلك على إثرها الكثير من الصبية، وفي سنة 614 هـ ظهرت فئران في الدجيل فعانى الناس من كثرتها وضاق بهم العيش.

وإلى جانب تلك الآفات فقد شهدت بعض أقاليم الدولة العباسية كثير من الظواهر الزلزالية التي كانت لها آثارا مدمرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي سيما ببلاد الشام ،والفياضانات التي خلفت آثار وخيمة على الزراعة والاقتصاد بشكل عام، وأشد هذه والفياضانات خطورة الذي حدث ستة 516 هـ عندما ارتفع منسوب المياه في نهر الفرات بنسبة غير مسبوقة وفيضان سنة 528 هـ الذي جاء بعد احتباس الأمطار وحلول القحط والجدب على أعمال طبرية وفيضان سنة 530هـ على دمشق الذي أدى إلى إتلاف المحاصيل الزراعية .

كما شهدت دمشق سنة 547 هـ هطول أمطار طوفانية مما أدى إلى زيادة منسوب المياه في الأنهار كنهر بردى فكانت له آثارا مدمرة قتلت المواشي وهدمت العمران وركدت المياه في الحقول فحصل منها أضرار كبيرة لحقت بالمزروعات والأشجار

المثمرة، وفي سنة 553 هـ فيضانات على دمشق وثلوج غزيرة على داريا وبرد أضر بالمزروعات وانعكس ذلك على الإنتاج.

وإلى جانب الفيضانات فقد كانت سنون القحط أكثر تأثيرا عن غيرها من كوارث الفيضان فاحتباس الأمطار سيما في أواخر العصر العباسي كسنوات 518و543 و552 و574 و575هـ كان له بالغ الأثر على المجال الزراعي في بلاد الشام بدمشق وغيرها من الأقاليم الشامية.

وخلاصة الأمر أن الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها أقاليم المشرق الإسلامي إبان العصر العباسي من زلازل وفيضانات وجفاف وما نتج عنها من أوبئة وأمراض كانت لها آثارها كبيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي سيما المجال الزراعي.

ثانيا- المشاكل الأمنية والسياسية:

إلى جانب الكوارث الطبيعية وما خلفته من آثار مدمرة على النشاط الزراعي بالمشرق الإسلامي فإن عدم استقرار الوضع السياسي وعدم استتباب الأمن كان من الأسباب التي أدت إلى تعطيل النشاط الزراعي ببلاد المشرق الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن السابع الميلادي.

لذلك ففي العصر الأموي وما تميز به من حالة عدم الاستقرار في كثير من الأحيان بسبب الضغط الأمني والعسكري الذي كانت تواجهه الدولة سيما من الحركات المناوئة للحكم الأموي أو الحركات الانفصالية ونعني بذلك الشيعة والخوارج وحركة عبد الله بن الزبير وغيرها من الحركات الأخرى التي كادت أن تذهب بالحكم الأموي مبكرا كحركة ابن الزبير وهذا ما كلف الدولة الأموية جهودا مالية وعسكرية مضنية فضلا عن أنه وقف حجر عثرة في وجه أي تنمية اقتصادية والتي يعد النشاط الزراعي من أهمها.

كذلك الأمر بالنسبة للدولة العباسية فقد شهدت حركات معارضة سياسية مسلحة كبدت الدولة جهودا عسكرية ومالية مضنية عطلت في كثير من الأحيان نشاطات التنمية الاقتصادية للدولة فحركة حركة بابك الخرمي (223-201هـ/816-838م) التي ظلت تعبث بالوضع الأمني للدولة مدة تزيد عن عشرين سنة وظلت هذه الحركة عصية على

السلطة العباسية رغم الحملات العسكرية التي جردت للقضاء عليها ولم يتم إخمادها إلا بشق الأنفس فكان لهذه الحركة تأثيرا كبيرا على الدولة فقد أرهق بابك قوى الخلافة العباسية في الداخل وشغلها عن حرب الروم البيزنطيين.

وحركة الزنج (270-255هـ/869-883م)وهي الحركة التي قادها ونظمها علي بن محمد بن عبد الرحيم والتي بدأت من البصرة ، وإنه الحركة التي أرهقت العباسيين ردحاً طويلاً من الزمن دامت ما يقرب من خمسة عشر عاماً ، وكان قيام هذه الحركة لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ،فأضعفت هذه الحركات جبهة الثغور، وانشغلت الخلافة العباسية بمحاربتهم، فأدى ذلك إلى استغلال بيزنطة لذلك الوضع لصالحها في صراعها مع العباسيين. فضلاً عن سوء العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي كانت مهيأة لقيام الحركة، وبسببها ضعفت القدرات المالية للخلافة العباسية وأصبحت في تأخر ملحوظ بسبب زيادة النفقات . مما أدى إلى ازدياد غضب وسخط العامة على الخلافة العباسية واضطراب الأمن وتعطل مشاريع التنمية والنشاط الزراعي.

و حركة القرامطة (295-261هـ/874-907م) التي انشغلت بها الخلافة العباسية عدة سنوات، والتي ألحقت هزائم مروعة بالجيش العباسي في عدة مواقع بحيث أنهكت القوى العسكرية والاقتصادية للخلافة العباسية بسبب انشغالها بمقاومتهم. وبذلك أثرت هذه الحركة في أوضاع الثغور ولا سيما تلك التي ظهرت في بلاد الشام، واستغلت بيزنطة هذه الأوضاع لتهاجم جبهة الثغور.

وغيرها من الحركات المناوئة للسلطة العباسية والتي كانت في أغلبها حركات مسلحة تستهدف الخلافة بشكل مباشر فأثارت حالة اللاأمن وكلفت الدولة جهودا عسكرية ومالية مضنية وعطلت مشاريع التنمية سيما النشاط الزراعي.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور: لسان العرب.

-الطبري: الرسل والملوك.

- ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

المقريزي:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

-ابن الأثير: الكامل في التاريخ.

- ابن الفوطي الحوادث الجامعة في المائة السابعة.

ابن كثير: البداية والنهاية.

المراجع:

-محمد حمزة صلاح: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491-923هـ=1097-1517م).

- سوسن الشيخ: إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام.

-عباس أبو شامة عبد المحمود: مواجهة الكوارث غير التقليدية.

- دبابسية عبد الحفيظ : الكوارث الطبيعية في بلاد المشرق الإسلامي وآثارها الاقتصادية والاجتماعية 1-132 هـ.

- محمد صبري محسوب، محمد إبراهيم أرباب: الأخطار والكوارث الطبيعية.

- جمال حواش، عزة عبد الله: التخطيط لإدارة الكوارث وأعمال الإغاثة.

-عمرو عبد المنعم : الزلازل ،أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها.

- نعيم بن حماد: الفتن.

-شاكر خصباك: علم الجغرافية عند العرب.

-سوسن سمين محمد أمين:الكوارث الطبيعية في مكة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية خلال المدة من القرن 4-7 الهجري.

- مها سعيد حميد : الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي.

- سهيل تركي عنتر: أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الاقتصادي في الدول العربية الإسلامية 447-590هـ.